المرأة اليوم

عرفنا في بحثنا السابق كيف كانت المرأة بالأمس صابرة راضية قانعة رغم شظف العيش وقسوة كل أسباب الحياة التي كانت حينذاك أبعد ما تكون عن كل مظاهر الرفاهية.

وعرفنا كيف كانت المرأة قديما حريصة على طاعة زوجها، وكيف أنها لم تكن ترى في هذه الطاعة أى غضاضة أو حساسية بل كانت تستمد منها بعض جوانب سعادتها، لأنها بذلك تلبي أمر خالقها، والشأن في المؤمن تجاه أحكام الله أن يتقبلها بالرضا لا بالضجر والتململ منها حتى لا يحبط ثوابه، بل وحتى لو اقتضى تنفيذها تعريض نفسه للقتل ومن ذلك مثلاً الجهاد في سبيل الله فقد كان هو منتهى آمال سلفنا الصالح رغم ما يكتنفه من المخاطر بل كان ركوب هذه المخاطر هو لعبتهم المفضلة، لأنه يعتبر في نظرهم أقصر طريق إلى الجنة، ولهذا كانوا يشعرون بحزن بالغ إذا حال بينهم وبينه أى حائل من ضعف أو مرض أو فقر أو غيره، وانظروا إلى قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [1].

ومن هذا المنطلق الإيماني كانت طاعة المرأة لزوجها في الماضي، بل ومن هذا المنطلق الإيماني أيضا كان بر الرجل بزوجته اعتقادا منه أنها أمانة في عنقه وأنه مسؤول عنها أمام الله تعالى فلم يكن، مستبدا ولا طاغيا ولم يسئ استعمال حقه معها ومن ثم لم تكن

(1) الآيتان 91، 92 من سورة التوبة.

ذليلة مهينة كما يحلو للبعض أن يصورها بذلك بل كانت ملء السمع والبصر والفؤاد.

وعرفنا كيف كانت الحياة الزوجية تمضى في طريقها هادئة رزينة ترفرف عليها أعلام المودة والسكينة بفضل طاعة المرأة وعدم تمردها على أحكام الشريعة.

أما اليوم فرغم كل مظاهر الرفاهية التي ترفل فيها المرأة المتفرنجة الآن، فإنا نجدها متمردة حاقدة حانقة شرسة مسترجلة تنظر إلى طاعتها لزوجها نظرة ازدراء واستخفاف.

كيف تطيعه وهي تريده أن يكون طرطوراً على رأسها، ولعبة في يدها، ودمية تعبث بها، وصعلوكاً في البيت لا وزن له ولا رأي ولا إرادة. تريده أن يكون مؤنثاً معنوياً بعد أن غدت هي مذكراً معنوياً، وتريد أن تستبدل رجولتها المعنوية بأنوثته المعنوية، لتنتقم لنفسها من كل الرجال فيه ولتثأر للأمهات والجدات في الماضي.

ومن العجب أنه في ذات الوقت الذي يخيل للمرأة أنها كسبت بعض المواقع في معركتها هذه نجد، أنها خسرت أمضى أسلحتها وهي لا تدري خسرت مصباح علاء الدين وخاتم سليمان، وخسرت السلاح السحري الذي كان يضمن لها أن تكسب كل المعارك دون أن يكلفها ذلك أى عناء أو مشقة، خسرت السلاح الذي كان يخضع لها أقوى الرجال شكيمة وأصلبهم عوداً وأشدهم بأساً وأغلظهم قلباً وأكثرهم شراسة.

هذا السلاح الفتاك الذي تمردت عليه كان يكمن، في ضعفها فتحيل به الرجل القوى الثائر إلى حمل وديع هادى و ذلك بكلمة طيبة منها، بابتسامة عذبة، بلمسة حنان، باعتذار مهذب عن خطأ في حقه، بدموع رقيقة تتلألأ في مقلتيها وتنثال كالدرر على وجنتيها فتحول جمر الغضب المتأجج في قلب زوجها إلى شلال متدفق بكل معاني

الحنان والعطف.

فالشأن في الرجل - خاصة في بيته - أنه خشن المظهر لين المخبر، يفتعل الحزم والشدة أحيانا لتمضى الأمور على النحو الذي يراه محققاً لمصلحة الأسرة.

فقوته بالنسبة لزوجته ليست إلا طلاء خارجيا فقط وغلالة رقيقة شفافة تنفذ منها المرأة بثاقب نظرها إلى أعماق أعماقه التي يترسب فيها كل نقاط ضعفه.

وبعد أن خسرت المرأة هذا السلاح الذي يقضى على أكثر الخلافات الزوجية، تسلحت بسلاح آخر على النقيض مما قبله في مفعوله تسلحت بسلاح العناد الذي من شأنه أن يضخم من حجم المشاكل ويشعل أوارها، ويعقد الأمور ولا يحلها، فحلت الكراهية في نفس الزوج تجاهها محل المودة والرحمة، وعاش معها مكرهاً لينجو من بطش القانون الذي يتربص به الدوائر، وهذه هي أكبر إهانة للمرأة المتفرنجة الآن، لو كانت تعرف معنى الإهانة، ولكنها للأسف تضيف ذلك إلى رصيد كفاحها، ولست أدرى كيف يضاف إلى رصيد كفاح المرأة كراهية الزوج لها وإجباره بقوة القانون على العيش معها.

فالفرق بين المرأة قديما والمرأة الآن أن الأولى كانت تتمتع بحب الزوج لها وهذه تتمتع بازدرائه إياها ونفوره منها، لأنه يشعر أحيانا وكأنه تزوج رجلا مثله ولكنه يرتدى ملابس النساء، ألا وإن استرجال المرأة شيء لا يمكن أن يطاق إلا إذا كان الرجل مخنثاً.

إن أغلب مشاكلنا الزوجية تنبع من أن الزوجة المتفرنجة الآن تريد أن تكون القوامة، لها فإن كان الزوج متفرنجا مثلها لا يكون ثمة إشكال لأنه لا يجد في هذا الأمر أى مساس برجولته، وإن كان

غير متفرنج تكون الطامة الكبرى حيث يكون الصراع على أشده، لأن الرجل الذي عنده نخوة وكرامة لا يقبل مطلقاً أن تتحكم فيه امرأة فهو يضحي بحياته ولا يضحى برجولته، لأن الرجولة بالنسبة له كشرف الفتاة العفيفة فأي عدوان عليها يعتبر جريمة لا تغتفر، ومثل هذا الرجل يعتبر في نظر زوجته المتفرنجة متخلفا وغير عصري، ولذا يظل بيت الزوجية حينئذ كما لو كان على فوهة بركان هادر ثائر مضطرب يوشك أن يندلع فينسف البيت ومن فيه.

* * *